المصدر: الاهـرام المسائى
التاريخ : ١٩٩٣/١٠/٥

حكمة السادات فى ذكرى رحيله

بقلم :

عبد الله عبد البارى

وتمضى السنون ومعها تثبت الأيام وتتحقق حكمة الرئيس الراحل محمد أنور السادات، فلقد اختار دائما ـ رحمه الله ـ الطريق الحق والصعب معا، متحديا كل المخاطر حاملا حياته على كفيه كل طلعة نهار، وهكذا ومنذ تحمل المسئولية فى اكتوبر ١٩٧٠، وعلى خلاف ماكان يتوقعه الناس جميعا بدأ ولايته الحقيقية، وبعد اقصائه الجسور لمراكز القوى فى مايو ٧١ بدستور يتلائم مع متطلعات وطموحات مصر فى الحرية والديمقراطية وحقوق الانسان وسيادة القانون. فكانت بداية موفقة وجريئة من سياسى متمرس، وبالدستور انهى الحكم الشمولى وحكم الفرد وبدأ بناء دولة المؤسسات، تاكيدا لرؤاه فى الاستقرار ووقاية المجتمع شرور الحكم الديكتاتورى المتسلط والذى كان سببا مباشرا ورئيسيا فى هزيمة ٦٧ وضياع مصر وتخلفها فى التنمية وأساليب التقدم التكنولوجى فى سنوات الستينات، وكان له فضل البدء.

وتمثلت قمة الحكمة وبعد النظر منه، انه لاحياة ولاامل لمصر فى اى شيء الا بمحو مرارة وعار الهزيمة وبنصر يعيد للمصريين كرامتهم وللقوات المسلحة اعتبارها وينهى تبعية مصر للاتحاد السوفيتى.

وكان يرى فى الأفق افول نجمه وتحطم نظامه الشيوعى المبنى على الظلم والقهر والتسلط خلافا لفطرة الله التى فطر الناس عليها، فاخرج من مصر بقرار

مفاجيء مذهل وشجاع الخبراء الروس، وكانوا قوة استعمارية ضخمة جاثمة على صدر القوات المسلحة وصدر مصر.

وأصبح لزاما - ويسيرا - عليه أن يعد القوات المسلحة ويعد معها مصر كلها ليوم قريب يمحى به العار ويحرر الديار ويعيد به سيناء لحضن الوطن الأم فكانت خطته وعمله الصامت، والذى تحمل خلاله فوق كل احتمالات البشر ماتناى عن حمله الجبال.

وتمثلت قمة حكمته ونفاذ بصيرته فى قرار الحرب، وكان نصر اكتوبر العظيم، الذى يمر اليوم عشرون عاما عليه .. ذكرى خالدة لقرار ويوم وقائد وزعيم لقوات ظاهرة وشعب عظيم.

ثم تحققت حكمة السادات، صاحب قرار الحرب وصانع النصر فيما تلى ذلك من انجازات محسوبة وكانت فى الحسبان، اذ لم تكن الحرب الا من أجل الوصول اليها وتحقيقها، اتفاقيات فك الاشتباك، اعادة فتح قناة السويس فى ٧٥، سياسة الانفتاح والتحرر من التسلط الشيوعى والاشتراكى على مقدرات مصر، وهكذا ومن خلال شعبية كاسحة له فى مصرولدى العالم الغربى وخاصة امريكا، وقناعاته بأن أوراق الحل لدى امريكا، كانت رحلته - الأسطورة - لزيارة القدس، كسرا لحاجز الشك والخوف لدى اسرائيل، ولقد صارح هناك اسرائيل والعالم بقضايا الحق والعدل والسلام فى فلسطين والدول العربية، وهكذا وضع دستورا للتفاهم والتعامل مع اسرائيل جنت مصر ثماره بمفاوضات واتفاقيات السلام فى كامب ديفيد عام ١٩٧٨.

وهاهى حكمته تتأكد بما سار عليه الاخوة الفلسطينيون فى مفاوضاتهم. وكذلك الأشقاء العرب - فى مدريد واوسلو وواشنطون بعد ١٥ سنة من كامب ديفيد التى حصل السادات لهم من خلال اتفاقيات السلام على اكثر كثيرا كثيرا مما توصلوا جميعا اليه، بعد

سنوات العناد واضاعه الفرص وظلم الرجل الذى اعـــادوا له بقـــرارهم وبمشيئتهم كل الاعتبار له ولسياسته ولحكمته وبعد نظره.

وقد تمثلت حكمة السادات فى انه ومن خلال قراءاته للتاريخ وعبوره لآفاق المستقبل، وافول نجم المعسكر الشيوعى، بان المستقبل للحرية والديمقراطية وحقوق الانسان في الاقتصاد الحر واليات السوق فكان قراره بتعدد المنابر فى مصر طريقا يبدأ به عهد الديمقراطية، ثم قراره المفاجيء بقيام وتعدد الأحزاب، وهكذا وضع لبنة البناء الديمقراطى فى مصر وهو البناء الذى تاخر منذ قامت ثورة يوليو عام ٥٢ لاكثر من سبعة وعشرين سنة.

وليس اليوم مقام سرد لمنجزات وانجازات الرئيس الراحل تاكيدا لحكمته وبعد نظره، وانما اخترت نماذج قليلة من كثيرة، ردا لفضل الرجل - وهو اليوم فى رحاب الله - واعترافا بحقه فينا وعلينا فليس يغفل فضل الناس الا الصغار الحاجدون المستكبرون.

واخيرا، وليس آخرا، فلقد تحققت عبقرية السادات وحكمته وبعد نظره ونفاذ بصيرته فى اختيار محمد حسنى مبارك نائبا وخليفة له عام ١٩٧٥.

ذلك انه - رحمه الله - رأى فيه القدرة على قيادة مصر من بعده تحقيقا لآمالها ورعاية شعبها والسير بهذا الشعب الى بر الأمان. لقد تاكد الرئيس الراحل بفطنته وذكائه، انه يستطيع أن يعهد بمصر الى مبارك دون ان يخشى عليها من تسلط او انحراف بالسلطة نحو الديكتاتورية، فقد ادرك ان مبارك هو رجل العزائم والمهام الكبيرة،الصادق والملتزم والمنتمى الى قضايا بلده وصوالح مواطنيه، وان لديه من انكار الذات والعمل الدءوب وهدوء الطباع واستواء الشخصية واستقامة تصرفاته مايؤهله دون غيره من القيادات وقتذاك من تولى المسئولية بعده، خاصة قد كان ينتظر الموت فى اى لحظة، بل فى كل

لحظة، وبالفعل حقا، وعدلا وشهادة صدق وعدل، فلقد تحققت نبوءة السادات فى نائبه الذى صار رئيسا وقائدا لمصر بعد استشهاده يوم نصره ونصر مصر فى ٦ أكتوبر عام ١٩٨١.

وهاهى تلك الحكمة تتأكد، وبعد فترتين دامتا ١٢ سنة، فيما أعلنه شعب مصر، فى استفتاء حر كاسح، من اختياره الحر ومبايعته الواعية لفترة رئاسة ثالثة تثبت تشبث شعب مصر العظيم به لأنه اثبت ويثبت كل يوم أنه يبادله حبا بحب وثقة بثقة وأملا بأمل، أملا فى أن تستمر مسيرة الديمقراطية الى مداها، وهكذا يسجل الرئيس مبارك بأحرف من نور فى تاريخه الحافل وصفحته الناصعة بتعهده الذى التزم به بانه سيحقق لمصر ما تتطلع اليه من تعديلات دستورية تضمن ديمقراطية حقيقية وحرية كاملة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا لتعيش مصر ومن خلال قيادته لهذا التحول التاريخى واخذه بكل أسباب هذا التحول، أزهى عصور الحرية والرخاء والسلام «ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا» صدق الله العظيم.

ان هذه البيعة التى أتت الرئيس مبارك من شعب مصر وبهذا الاجماع شبه الفريد بعيدا عن عناصر الترغيب والترهيب،وبكل مافى قلوب الناس من حب واخلاص ويقين، تؤكد من جديد فطنة الرجل الشجاع والانسان المؤمن الذى تيم فى حب مصر واستشهد من اجلها وفى سبيل ما آمن بانه من مصلحتها . وهى كذلك فعلا كما أثبتت الأيام . وهو الرجل الشهيد محمد أنور السادات الذى نحتفل اليوم بذكرى رحيله الى جوار ربه، راضيا مرضيا، فى يوم ذكرى نصر أكتوبر العظيم، ولايسعنا فى هذا اليوم الخالد الا أن نذكره ونتذكره، وندعو الله القادر العلى القدير الرحمن الرحيم أن يبوأه مكانا عليا فى الخالدين مع الصديقين والأبرار والشهداء وحسن أولئك رفيقا، وصدق الله سبحانه وهو أعز من قائل: «من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا..»